

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[232] هذا مضافاً إلى أن الإسلام قد نظم برنامجاً دقيقاً لتحرير العبيد تدريجاً، والذي يؤول في النتيجة إلى تحريرهم المطلق، وسوف نتحدث حول هذه المسألة في ذيل الآيات المناسبة إن شاء الله تعالى. ثم إنَّه سبحانه يقول في ختام هذه الآية (يَا بَنِي آدَمَ لَا يَحِبُّ مَنْ كَانَ مَخْتَالاً فُخُوراً) وهو بذلك يحذر كل من يتمرّد ويعصي أوامر الله، ويتقاعس عن القيام بحقوق أقربائه ووالديه واليتامى والمساكين وابن السبيل والأصدقاء والأصحاب بدافع التكبر بأنَّه سيكون معرضاً لسخط الله، وسيحرم من عنايته سبحانه، ولا ريب أنَّ من حرم من اللطف الإلهي والعناية الربانية حرم من كل خير وسعادة. وتؤيد هذا المعنى روايات وأخبار قد رويت في ذيل هذه الآية منها ما عن أصحاب النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث قال: كنت عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقرأ هذه الآية "يَا بَنِي آدَمَ لَا يَحِبُّ كُلُّ مَخْتَالٍ فُخُوراً" فذكر الكبر فعظمه، فبكى ذلك الصحابي فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ما يبكيك؟ فقال يا رسول الله: إِنِّي لأُحِبُّ الجمال حتى أنَّه ليعجبني أن يحسن شراكم نعلي قال: "فأنت من أهل الجنة، أنَّه ليس بالكبر أن تحسن راحلتك ورحلك، ولكن الكبر من سفه الحق وغمص الناس" (1). والخلاصة أنَّ ما يستفاد من العبارة الأخيرة أنَّ مصدر الشرك وضم حقوق الآخرين هو الانانية والتكبر غالباً، ولا يتسنى للشخص أداء تلك الحقوق، وخاصّة حقوق اليتام والمساكين والأرقاء إلاَّ من تحلّى بروح التواضع و نكران الذات (2). * * *

1 - غمص الناس: احتقرهم واستصغروهم ولم يرهم شيئاً. انظر لسان العرب (غمص). 2 - "مختال" من مادة "خيال" حيث يرى الشخص نفسه بسبب بعض المتخيلات عظيماً وكبيراً، وسمي الخيل يخى لأن مشيته تشبه مشية المتكبر، "فخور" من مادة "فخر" والفرق بينها وبين الأولى أن المختال إشارة إلى تخيلات الكبر في مجالها الذهني والأخرى يراد بها الاعمال الصادرة عن كبر في المجال الخارجي.